معالم أساسية عند قـراءة السيــرة النبويــة

أ.د. عبدالله خلف الحمد

أستاذ السيرة النبوية في كلية العلوم الإسلامية — الجامعة العراقية

يتعامل القارئ اليوم مع السيرة النبوية وهي مكتوبة في المصادر، وتتنوع في دقة معلوماتها وأسلوب عرضها، لذا ينبغي على قارئها أن يحتاط عند التعامل معها، فأحببت أن أرشده إلى بعض الإضاءات التي تنير له الطريق، وتفتح له بعض الآفاق أسميتها (معالم)، أشير إلى بعضها في هذا المقال:

١- لابد من الرجوع إلى مكتبة السيرة النبوية إذا أردنا أن نكتب رسالة أكاديمية أو محاضرة علمية أو خطبة، لأن هذه المصادر متنوعة، فمنها ما هو أصلي ومنها ما هو تكميلي، حيث يقف على رأس المصادر الأصلية القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي وكتب الدلائل والشمائل وكتب السيرة المختصة، ولابد من تقديمها على غيرها، أما المصادر التكميلية أو الفرعية ككتب التاريخ العام والأدب وغيرها، فلا نلجأ إليها إلا بعد استيعاب المصادر الأصلية، أو عند شحة المعلومات مثلا.

٢- إن معلومات السيرة في مصادرنا أفردت بعض معلوماتها في كتب معينة بالصحيح فقط (كما عند البخاري ومسلم في صحيحيهما)، وأحيانا في كتب جمعت بين الصحيح والضعيف، وعليه لابد من الوعي والتدقيق عندما نتعامل مع هكذا روايات وعدم التشدد في قبولها، خاصة إذا كانت الرواية معها سندها من الرواة، حيث يسهل الحكم عليها من حيث القبول والرد.

٣- تطابق أكثر معلومات السيرة النبوية الواردة في كتب الحديث وكتب السيرة، والسبب أنها كُتبت على يد التابعين وتلامذتهم، الذين أخذوا أخبارها من الصحابة الذين عاشوا أو شاركوا أحداثها.




٤- ينبغي على دارس السيرة النبوية أن يتناولها في زمانها ومكانها، وهذا يعني الحذر من إسقاط واقعنا المعاصر على واقع آخر يمتد لأكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، وهنا وقع كثير من المستشرقين ومن قَلّدهم من الباحثين العرب عندما فسّروا أحداث السيرة وفق منظور القرن العشرين الميلادي حيث سيادة مفاهيم حقوق الإنسان، والسلم الدولي، والقوانين التي تشرعها الدول الكبرى بما يخدم مصالحها، ووفق هذا المنظور ينتقدون أحداث السيرة.

٥- فيما يخص نقد روايات السيرة ينبغي التخفيف في استعمال منهج المحدثين في الجرح والتعديل، خاصة إذا كانت هذه المرويات لا تتعلق بالعقيدة أو الأحكام، ووفق هذا المنهج يمكن الإفادة من الروايات التي تكمل تاريخ السيرة وتعطي تصوراً متسلسلاً وموضوعياً عن أحداثها.

٦- لا يصلح غير المسلم في تدريس السيرة النبوية، لأن أحداثها قائمة على أساس الإيمان بالله تعالى، واستنباط العقيدة من خلال آيات القرآن الكريم، لذا لابد من الالتزام بمنهج الإسلام عند إيصال هذه المعلومات إلى الناس، ومن دون ذلك تفقد هذه السيرة أهميتها وتأثيرها، بل جمالها وروحها، يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: (أما المؤمنون بالإسلام، العاملون على توثيق صلة الأجيال الجديدة به، فهم يحملون عبئاً ضخماً ومسؤولية كبيرة في هذا الميدان، لأنهم وحدهم القادرون على التصور الصحيح للتأريخ الإسلامي والمجتمع الإسلامي)[1].

٧- يعد كتاب (مصادر السيرة النبوية وتقويمها) للدكتور فاروق حمادة من أهم الكتب التي توضح نوعية المصادر وترتيبها زمنيا، وبيان أهميتها موضوعيا، لذا أوصي طلبة العلم عموما والمختصين والمهتمين منهم بقراءة السيرة أن يرجعوا إلى هذا الكتاب ويجعلونه في متناول أيديهم، وسيلمسون بإذن الله الفائدة الكبيرة من وراء ذلك.

٨- تعج المكاتب اليوم بمؤلفات كثيرة لمؤلفين معاصرين، وهي بلا شك تؤشر لمدى الاهتمام الكبير ببث المعلومات عن الشخصية التي يحبونها ويرون من واجبهم إيصال معلوماتها إلى الأجيال،

(١) السيرة النبوية الصحيحة، ج١ ص٣٠.



لكن هذه النية لا تبرر التسـليم بكل ما في هذه الكتب من معلومات ففيها الغث والسـمين، ويختلط أحياناً الخرز بالدر الثمين، وعليه لابد من الاستشارة عند قراءة مثل هذه الكتب وعرضها على المختصين، وحينها يكون القارئ بمأمن مما يدخل من كتب إلى مكتبته.

٩- ولنا وقفة مع وسائل التواصل الاجتماعي، فبسبب عدم الانضباط في الكتابة، وعدم الورع أحيانا، والدس للمعلومات في أحيان أخرى، تمتلئ الشـبكة العنكبوتية بكم هائل من المعلومات المكتوبة والصوتية عن السيرة النبوية، يرافق ذلك استسهال الناس اليوم لطريقة الحصول على المعلومات، وهنا ينبغي الحذر الشديد عند التعامل معها، وعدم التسليم بقبولها لمجرد ورودها في هذه المواقع.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا السداد في القول والعمل، وأن يحبب الينا قراءة سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم، وتحقيق الأسوة به.

